



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس جوامع الأخبار

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (35)

التاريخ: الاثنين 23/جمادى الآخرة/1441 هـ

17/فبراير (شباط)/2020 م

شرح الأحاديث: (٨٧، ٨٨)

• ملخص الدرس:

❁ الحديث (٨٧): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلُّهُ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» مسلم (٨١١-٢٥٨).

◆ هذه إحدى فضائل سورة الإخلاص وهي أنها تعدل ثلث القرآن.

◆ وللعلماء في معناها قولان:

- الأول: تعدل ثلث القرآن في الثواب.

- الثاني: تعدله في المعنى والمنزلة.

◆ وتسمى بهذا الاسم لسببين:

- الأول: لأنها خالصة لله: أي ليس فيها ذكر شيء غير أسماء الله وصفاته.

- الثاني: لأنها تخلص قارئها من الشرك والتعطيل.

◆ أما تفسيرها فقال الشيخ العلامة محمد العثيمين رحمه الله:

(سورة الإخلاص هي {قُلُّهُ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} وسميت به؛ لأن الله أخلصها لنفسه ولم يذكر فيها إلا ما يتعلق بأسمائه وصفاته؛ ولأنها تخلص قارئها من الشرك والتعطيل.

وسبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انسب لنا ربك؛ من أي شيء هو؟

وكانت تعدل ثلث القرآن لأنه (*) يتضمن الإخبار عن الله، والإخبار عن مخلوقاته، والأحكام؛ وهي الأوامر والنواهي. وسورة الإخلاص تضمنت النوع الأول وهو الإخبار عن الله.

وفيها من أسماء الله: الله، الأحد، الصمد.

فالله هو: "المألوه المعبود حباً وتعظيماً"، والأحد هو: "المنفرد عن كل شريك ومماثل"،
والصمد: "الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته".

وفيها من صفات الله ما تضمنته الأسماء السابقة:

١- الألوهية. ٢- الأحدية. ٣- الصمدية.

٤- نفي الولد منه لأنه غني عن الولد ولا مماثل له. ٥- نفي أن يكون مولوداً لأنه خالق كل
شيء وهو الأول الذي ليس قبله شيء. ٦- نفي المكافئ له وهو المماثل له في الصفات لأن

الله ليس كمثل شيء لكمال صفاته) انتهى من مجموع فتاوى ورسائل

العثيمين (٢٦٦ / ٤).

(*) أي "لأن القرآن يتضمن... الخ".

❁ الحديث (٨٨): عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه علىهلكته في الحق،
ورجل آتاه الله حكماً، فهو يقضي بها ويعلمها " متفق عليه.

◆ هذا الحديث فيه: تحريم الحسد، وإباحة الغيبة، والندب إلى التنافس في النعم الدينية.

والغيبة هي: (أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها.

فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت طاعة فهي مستحبة.

والمراد بالحديث: لا غيبة محبوباً إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما) شرح

صحيح مسلم للنووي (٩٧/ ٦).

◆ والحرص في الحديث ليس مقصوداً في هاتين الخصلتين، لورود كثير من النصوص

التي تحت على المنافسة في الخير، ولكن يقصد من الحصر تحريم الحسد في غير هاتين

الخصلتين، قال الخطابي: "أي لا إباحة لشيء من نوع الحسد إلا فيما كان هذا سبيله"

أعلام الحديث (١٩٦ / ١).

◆ قوله (رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ): أي أعانه الله فتغلب على شح نفسه فأنفق كل ماله في طاعة الله. والصدقة بكل المال مندوب لمن يصبر على الفقر كما فعل أبو بكر، ويكره لمن لا يصبر.

◆ قوله (وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا). أي رزقه الله العلم بالقرآن فهو يحكم به بين الناس ويعلمه الناس. فهذا هو العالم العامل المعلم الناس الخير، وهذه خصال العالم الرباني الراسخ في العلم. ويدخل في الحديث كل من أوتي شيئاً من العلم الشرعي فعمل به وحكم به بين الناس وعلمه إياهم.



الدرس الخامس والثلاثون من شرح "جوامع الأخبار"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..
فهذا هو **الدرس الخامس والثلاثون** من شرح "جوامع الأخبار" وفيه شرح الأحاديث (٨٧، ٨٨)..

«شرح الحديث السابع والثمانين»

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ** " رواه مسلم.

هذا لفظ حديث أبي الدرداء عند مسلم عن النبي ﷺ قال «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قالوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»⁽¹⁾.

أما لفظ حديث أبي هريرة فقال: قال رسول الله ﷺ: «**احْتَسِدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَسَدَ مَنْ حَسَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبْرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا **تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»⁽²⁾.

هذه الأحاديث تشتمل على إحدى فضائل سورة الإخلاص، وهي أنها تعدل ثلث القرآن، وسيأتي لاحقاً إن شاء الله بيان معنى هذه الفضيلة.

1- مسلم (٢٥٩ / ٨١١)

2- أخرجه مسلم (٨١٢)، وأخرج بنحوه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري (٥٠١٣، ٥٠١٤، ٥٠١٥، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤).

و"الإخلاص" في اللغة: هو "تنقية الشيء وتهذيبه".⁽¹⁾

وفي الشرع هو: "أن تبتغي بعملك وجه الله"، أو هو: "إفراد المعبود عن غيره"⁽²⁾.

أي أن تُفرد الله بنيتك، وأن تُفردَه بأفعاله وصفاته، فهذا التعريف أعمُّ من الأول أي يدخل فيه الأول.

بهذا يتبيّن لنا أسباب تسمية هذه السورة بهذا الاسم وهما سببان:

- الأول: لأنها خالصة لله. قال قتادة: (هي سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة)⁽³⁾

- الثاني: أنها تُخلِّص قارئها من الشُّرك والتعطيل⁽⁴⁾.

إذن فهذه السورة عظيمة القدر لأنها ليس فيها إلا صفة الرحمن، وأنه موصوف بالأحديّة والصمديّة، والتفرد في ذاته وأفعاله وصفاته وسؤدده، وهذا يقتضي إفراده في العبادة، فاشتملت السورة على توحيد الله عز وجل في ربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

• أمّا سبب نزولها:

ف قيل في ذلك إنّ المشركين قالوا للنبي ﷺ: أنسب لنا ربك، فأوحى الله إلى نبيه بهذه السورة؛ أن قل هو الله أحد⁽⁵⁾،

وقيل: إنّ اليهود سألوه: من خلق الله؟ فنزلت جواباً لهم⁽⁶⁾.

• أمّا تفسير السورة:

﴿ فقله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾.﴾

1- "مقاييس اللغة (٢/٨٠٢).

2- "تفسير ابن القيم" (١/١٠٣).

3- تفسير الطبري للسورة، و"الاستذكار" لابن عبد البر (٢/٥١١)، و"فتاوى العثيمين" (٤/٢٦٦).

4- "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٤/٢٦٦) والشرح الممتع له (٤/١٧).

5- أخرجه الترمذي (٣٣٦٤)، وأحمد (٢١٢١٩)، وحسنه الألباني في "الضعيفة" تحت الحديث (٥٢٠٦).

6- أنظر تفسير الطبري للسورة.

- (قل): الخِطاب للرسول ولجميع أمتة.

- (هو): ضمير الشأن، أي (الشأن أنّ الله أحد). وهذا الضمير يفيد الحصر في اللغة، فالمعنى أنه انحصرت فيه الأحديّة، أي لا أحد إلا الله.

- (الله): العَلَمُ الدالّ على الذات العليّة، فهو اسمٌ خاصٌّ به سبحانه، ولا يتسبى به أحدٌ غيره. ومعناه (المألوه مَحَبَّةً وتعظيماً) ففيه صفة الألوهية المتضمنة صفة الربوبية.

- (أحد): اسم من أسماء الله الحسنى، ولم يرد هذا الاسم إلا في هذه السورة، ويتضمن صفة الأحديّة، ومعناه: المتفرد الذي لا ثاني له ولا نظير له ولا ند له، في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

❖ قوله: ﴿الله الصمد﴾ أي المتفرد بالصمدية، واستفدنا الحصر من تعريف طرفي الجملة الإسمية

(الصمد): اسم من أسماء الله الحسنى، المتضمن صفة الصمديّة، ولم يرد إلا في هذه السورة. ومعناه: (السيد الذي انتهى سؤده)⁽¹⁾ أي بلغ في السؤدد منتهاه، فلا أحد فوقه في السؤدد.

فمعناه: المرجع المقصود في جميع الحوائج والنوازل، المُستغني عن كل أحد، قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (أجمع ما قيل في معناه أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته)⁽²⁾.

وقال العلماء في معناه أيضاً:

(الصمد الذي لا جوف له)، أي المنزّه عن الجوف، فلا يحتاج لطعام ولا شراب، ولا يلد، ولا ينفصل عنه شيء، فإن هذه الأمور من صفات المخلوق، ولذلك قال:

1- أنظر صحيح البخاري معلقاً قبل الحديث (٤٧٩٥). وانظر "التحبير لإيضاح معاني التيسير" للشوكاني (٢/٤٦٤).

2- "تفسير جزء عم" للعثيمين (١/٣٤٩)، و"فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام" له: (٦/٤٩٩)، وشرح رياض الصالحين له: (٤/٦٧٤).

❖ **﴿لم يلد ولم يولد﴾**، وبعض العلماء فسّر (الصمد) بأنه **﴿لم يلد ولم يولد﴾**، وهذا راجع لكمال سؤدده ولأنه لا جوف له.

قوله (لم يلد): لكمال غناه عن صاحبة والولد، ولكمال تفرّده، ولكمال صفاته، فإنه سبحانه لا مثيل له.

قالت الجن: **﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾** (1)

وقال تعالى: **﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (2)

فهذه حجة عقلية عليهم، فإنه يمتنع عقلاً أن يكون له ولد وليس له صاحبة، والله ليس له صاحبة، وهو غني عن ذلك، أمّا المخلوق فيحتاج إلى زوجة، لحاجته إلى الولد: لبقاء نوعه، وحتى يعينه ولده في حياته، ويرثه ويدعو له بعد مماته، والله تبارك وتعالى مُزَّهٌ عن ذلك كله. فالمراد من نفي الولد عن الله إثبات كمال تفرّده في ذاته وصفاته، وكمال غناه.

- كمال تفرّده: لأنه **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**، أي: ليس كمثله شيء في صفاته وأفعاله، ومن المعلوم أنه يلزم من وجود الولد وجود مائل، لأن الولد مثل أبيه.

- وأمّا كمال غناه: فلأنه غني عن صاحبة والولد سبحانه وتعالى.

وهذه الآية فيها ردٌّ على طوائف من المشركين الذين نسبوا لله الولد؛ كان المشركون في الجاهلية يقولون إنّ الملائكة بنات الله، واليهود قالوا العزيز ابن الله، والنصارى قالوا عيسى ابن الله! وكذبوا؛ فإن الله عز وجل لم يلد.

وهاهنا قاعدة مهمة في فهم آيات الصفات وهي: (أن المراد من نفي الصِّفة إثبات كمال

ضدها)، وليس المراد مجرد النفي المحض، فإنّ النفي المحض ليس فيه كمال، فمثلاً ليس من المدح وليس من الكمال أن تمدح ملكاً وتقول له: أنت لست لصّاً، ولست بخيلاً، ولست فاجراً... الخ، فهذا ذم له، لأنّ النفي المحض فيه نقص وليس فيه كمال، ولكن المراد من نفي الصفات في

1- [الجن: ٣]

2- [الأنعام: ١٠١]

القرآن إثبات كمال ضدها كما قلنا، فالمراد من قوله: ﴿لم يلد﴾ كمال غناه وكمال تفرّده كما بينّا.

ولذلك فإن نفي الصفات قليل في الكتاب والسنة، وإنما وردَ النفي للردّ على المشركين لدفع شبهاتهم - كما في هذه السورة - ولإثبات كمال الضدّ.

قوله: (ولم يولد) أيضاً لكمال تفرّده وأزليّته وربوبيّته، فإن الله:

- "لم يولد" لكمال تفرّده؛ فليس له مثل، والوالد والولد متماثلان.
- "ولم يولد" لكمال أزليّته؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء.
- "ولم يولد" لكمال ربوبيّته؛ فهو الخالق لا خالق غيره، قال سبحانه:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁽¹⁾.

ثم إنه لا يصحّ عقلاً أن يُسبق الخالق بشيء، ولا يصحّ أن يكون الخالق مولوداً، لأنه يلزم منه التسلسل اللانهائي، فلا بد أن نصل إلى أول لا شيء قبله، وهذا الأول هو الله تبارك وتعالى، فالحق الذي يتفق مع العقل ودلّ عليه الشرع أنّ الله هو الأول، بهذا ينقطع التسلسل.

﴿قوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾:

أي ليس له مُساوٍ، وقيل ليس له صاحبة، والمعنى الأول أصحّ ويتضمّن الثاني ولا يتعارض معه؛ فإنّ كونه ليس له مُساوٍ يتضمّن أنه ليس له صاحبة.

وهذه الآية - أي قوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ - دالّة على كماله سبحانه في ذاته وصفاته،

فليس له نظيرٌ ولا ندٌّ ولا مُساوٍ ولا مُسامٍ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، كما قال

سبحانه عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

1- [غافر: ٦٢]

2- [الشورى: ١١]

سَمِيًّا ﴿١﴾ أي مُسَامِيًّا وَمُسَاوِيًّا، ﴿هل﴾ هنا بمعنى النفي، أي ليس له سميّ، أي ليس له مُسَامٍ ولا مُسَاوٍ.

• فضائل سورة الإخلاص ومواطن تلاوتها:

دلّت السنة أنّ لسورة الإخلاص فضائل عديدة، وأنها تُتلى في مواطن عديدة، وتجدون هذا وهذا في كتب التفسير والفقهاء، فلا نُطيل في ذِكر ذلك.. وقد جاء في حديث الترجمة ذِكرُ إحدى فضائلها؛ وهي:

﴿قوله ﷺ: "تعديل ثلث القرآن":

هذا لفظٌ جامعٌ لثواب عظيم يُعادل ثلث القرآن، أو أنه جامعٌ لمعانٍ عظيمة تُعادل ثلث القرآن، قولان لأهل العلم في معنى كونها تعديل ثلث القرآن:

- فقول تعديل في الأجر والثواب.

- وقول تعديل في المعنى والمنزلة.

- أمّا الفريق الأول فاستدلّوا بحديث أبي الدرداء عند مسلم: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»(2).

وظاهر هذا الحديث أنّ الذي يقرأ سورة الإخلاص كالذي يقرأ ثلث القرآن في الثواب، يعني مَنْ قرأها ثلاث مرات فله أجر تلاوة القرآن كاملاً، وهذا دليل قوي وقال به الكثير من العلماء، وهو ظاهر حديث أبي الدرداء وأبي سعيد الخدري.

- وأمّا الفريق الآخر فقالوا المراد أنها تعديل ثلث القرآن في المعنى والمنزلة.

1- [مریم: ٦٥]

2- مسلم (٨١١ - ٢٥٩)، ومثله حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٥٠١٥).

وأولوا ذلك بأن القرآن يتضمّن: التوحيد، والأحكام، والقصاص، فهذه ثلاثة أجزاء، وسورة الإخلاص خالصة في صفة الرحمن وتوحيده، ولم يُذكر فيها شيءٌ آخر، فتعدل ثلث القرآن بهذا المعنى.

وتعقّب ابن عبد البر رحمه الله هذا القول في كتابه "الاستذكار": بأنّ أواخر سورة الحشر فيها هذه الميزة، فيها أسماء الله وصفاته، بل فيها أكثر مما في سورة الإخلاص.⁽¹⁾

واستدلّ القائلون بهذا القول أيضاً بالرواية الأخرى لحديث أبي الدرداء التي عند مسلم، وهي: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَزَاءُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ قُلُوبَهُ اللَّهُ أَحَدُ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ». والذي يظهر - والله أعلم - أنّ هذا الحديث يصلح أن يستدلّ به الفريقان، والله أعلم بالصواب.⁽²⁾

وعلى كل حال فسورة الإخلاص لها فضل عظيم، وقد لخص تفسيرها الشيخ محمد العثيمين رحمه الله فقال: (سورة الإخلاص هي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وسميت به؛ لأن الله أخلصها لنفسه ولم يذكر فيها إلا ما يتعلق بأسمائه وصفاته؛ ولأنها تخلّص قارئها من الشرك والتعطيل.

وسبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي ﷺ انسب لنا ربك؛ من أي شيء هو؟ وكانت تعدل ثلث القرآن لأنه يتضمن الإخبار عن الله، والإخبار عن مخلوقاته، والأحكام وهي الأوامر والنواهي، وسورة الإخلاص تضمنت النوع الأول وهو الإخبار عن الله.

وفيه من أسماء الله: الله، الأحد، الصمد، فالله هو: "المألوه المعبود حباً وتعظيماً"، والأحد هو: "المنفرد عن كل شريك ومماثل"، والصمد: "الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته". وفيها من صفات الله ما تضمنته الأسماء السابقة:

1- "الاستذكار" (٥١١/٢)

2- وللإطلاع على أقوال العلماء في هذه المسألة أنظر "شرح صحيح مسلم" للإتيوبي: (١٦/٤٠٤- المسألة الرابعة)، فإنه سرد فيها أقوال أهل العلم.

١- الألوهية.

٢- الأحدية.

٣- الصمدية.

٤- نفي الولد منه، لأنه غني عن الولد ولا مماثل له.

٥- نفي أن يكون مولوداً لأنه خالق كل شيء وهو الأول الذي ليس قبله شيء.

٦- نفي المكافئ له وهو المماثل له في الصفات لأن الله ليس كمثله شيء لكمال صفاته) انتهى^(١).

فهذا يلخص ما تقدم تفصيله في الشرح، وأنصح بحفظ هذا التفسير، فإنه تفسيرٌ من عالم إمام في التفسير رحمه الله، وقد أعطانا هذه الخلاصة في تفسيرها.



1- "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٤/٢٦٦).

« شرح الحديث الثامن والثمانين »

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (1)

هذا الحديث فيه:

- تحريم الحسد،
- وإباحة الغيبة،
- وفيه النَّدْبُ إلى التنافس في النعمة الدينية.

❖ وقوله ﷺ: "لا حسد": فيه تحريم الحسد، فالأصل أنّ الحسد مُحَرَّمٌ إلا ما استثني وهو:

❖ قوله "إلا في اثنتين": استثنى الغيبة، فتقدير الكلام: لا حسد مُسْتَحَبٌّ إلا في خصلتين، أو لا حسد يضرّ إلا في خصلتين.... وذكرهما.

والحصر في الحديث غير مراد كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فدلّت هذه الجملة أنّ الأصل تحريم الحسد، إلا ما كان في التنافس في النعمة الدينية، وهو ما يُسمّيه أهل اللغة: الغيبة.

ولا بأس من التنافس في النعمة الدنيوية أيضا، وسيأتي تفصيل ذلك.

قال النووي رحمه الله: (والمراد بالحديث لا غيبة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما) انتهى. (2)

1- أخرجه البخاري (٧٣، ١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦) ومسلم (٨١٦)، ومثله حديث ابن عمر: أخرجه البخاري (٥٠٢٥، ٧٥٢٩) ومسلم (٨١٥)، ومثلها حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٥٠٢٦، ٧٢٣٢، ٧٥٢٨).
2- "شرح النووي على صحيح مسلم" (٩٧/٦).

وبوّب البخاري على حديث الباب وقال: (باب الاغتباط في العلم والحكمة)،⁽¹⁾ وبوّب على حديث

ابن عمر وقال: (باب اغتباط صاحب القرآن).⁽²⁾

والغِبطة هي: "أن يتمنى المرء مثل نعمة أخيه، ولا يتمنى زوالها عنه". بخلاف الحسد المُحرّم؛
الذي هو: تَمَنّي زوال النعمة عن غيره ولو لم تنتقل إليه)⁽³⁾ فهذا النوع من الحسد مُحرّم
بالإجماع⁽⁴⁾ وبقوله ﷺ: "لا تحاسدوا"⁽⁵⁾

❖ قوله: "رجل آتاه الله مالاً": أي رزقه الله مالاً كثيراً.

❖ قوله: "فسلطه على هلكته في الحق": أي سَلَطَهُ اللهُ على إنفاقه كله في وجوه الخير حتى لا
يُبقى منه شيئاً.

وقوله "سَلَطَهُ": يُشعر أنه يقاوم صفة الشُّح التي فيه؛ قاومها تقرباً إلى الله.

وقوله: "على هلكته": يُشعر أنه أنفق ماله كله، وم يبق منه شيئاً.⁽⁶⁾

وقوله: "في الحق": أي في مرضاة الله، أي في الواجبات أو المستحبات أو المباحات، من غير
إسراف ولا تبذير.

والصدقة بكل المال مُستحب لمن يصبر على الفقر كما فعل أبو بكر وأقره الرسول ﷺ، ومكروه
لمن لا يصبر على الفقر، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾⁽⁷⁾ فالأمر هنا
مصروف إلى الكراهة بإقرار الرسول لفعل أبي بكر.

وهذا الرجل وهبه الله ثلاث نِعَم:

- المال الحلال الكثير،

1- (البخاري ٧٣)

2- (البخاري ٥٠٢٥)

3- "جامع العلوم والحكم" للحافظ ابن رجب (١/٣٠٩).

4- "شرح النووي على مسلم" (٦/٩٧).

5- متفق عليه عن عدد من الصحابة.

6- "عمدة القاري" للعيني (٢/٥٨).

7- [الإسراء: ٢٩]

- ووقاه شُحَّ نفسه فسَلَّطَه على إنفاق ماله،

- وينفقه في طاعة الله، إما في الواجبات أو في المستحبات، فهو يُزَكِّي ماله، وينفق منه على أهله، ويصل به رحمه؛ وينفق على المعدومين والمساكين والأيتام، وفي بناء المساجد ودور العلم والنفقة على طلبه العلم، ولا يهلكه على ملذاته فقط في حلال أو حرام،

فهذا والله حَرِيٌّ أَنْ يُغْبَطَ! وأما من لم يكن كذلك وقصّر في الواجب، أو أنفقَه على ملذاته المحرمة كما هو حال كثير من المسلمين اليوم؛ فهذا ماله وبالٌّ عليه، ويُستَعَاذُ بالله من حاله، كما كان قارون يفعل، ولذلك أنكر أهل العلم في زمانه على الذين تَمَتَّوا مكانه.⁽¹⁾

ولا يقع المال في حَقِّه إلا بثلاثة ضوابط:

- أن يكون المال من حلال.

- أن يُنفقه في مرضاة الله: من واجب أو مُستحب أو مُباح، فيضعه في مواضعه التي ترضي الله، وهذا من شكر النعمة الواجب.

- أن يبتغي بنفقته وجه الله.

﴿قوله: "ورجل آتاه الله الحكمة":

أي رزقه الله العلم بالقران، وهذا أحسن تفسيرٍ للحكمة في هذا الموضع، لأنه جاء صريحاً في قوله ﷺ: "ورجل آتاه الله القرآن" في حديثي أبي هريرة وابن عمر في الصحيحين.⁽²⁾

إذن فالمراد من الحكمة في هذا الحديث القرآن لأنها وردت منفردة، ولكن إذا وردت الحكمة مقترنة بالقرآن في سياق واحد؛ فيكون المراد بالحكمة السنة المُبَيَّنَّة للقرآن، كقوله تعالى:

1- {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص: ٨٠].

2- أخرجه البخاري عن أبي هريرة (٧٥٢٨، ٧٢٣٢، ٥٠٢٦). وعن ابن عمر (٧٥٢٩، ٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥).

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾⁽¹⁾، وكقوله تعالى: ﴿ وَادْكُرْنَا مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾

وَالْحِكْمَةَ⁽²⁾ فالمراد بالحكمة في جميع هذه الآيات السنة المبيّنة للقرآن.

أمّا المفهوم العامّ للحكمة فهي: (كَلَّ مَا مَنَعَ مِنَ الْجَهْلِ وَزَجَرَ عَنِ الْقَبِيحِ).⁽³⁾

والحكمة في اللغة: (المنع)، مأخوذ من (الحكمة) بفتح الحاء والكاف، وهي "حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكته تمنعه من مخالفة راحته"⁽⁴⁾، وهكذا الحكمة تمنع من الجهل.

﴿ قوله: "فهو يقضي بها".

أي يحكم بين الناس بالقرآن، وهذه نعمة من أجل النعم، لا يقدر عليها إلا أهل العلم، فهو على علم بالكتاب والسنة ويحكم بهما، أي يحكم بما أنزل الله، وليس هذا وحسب، بل:

﴿ قال: "ويعلمها": أي يُعَلِّمُ غيره الحكمة، يُعَلِّمُ الناس علوم القرآن والسنة، فهو مُعَلِّمٌ للخير، فهذا هو العالمُ العامِلُ المُعَلِّمُ، العالمُ العامِلُ بعلمه، المُعَلِّمُ غيره.

وهذه صفات العلماء الربانيين الراسخين في العلم، ولا يخلو زمان منهم والحمد لله، ويدخل معهم كل من آتاه الله شيئاً من علم القرآن والسنة وعمل به، وحكم به فيمن ولّاه الله عليه من أهله وعُملاله، وعلم الناس ما عنده من علم، فله نصيب من هذا الفضل بحسب ذلك.

والمراد من الحديث:

الحثُّ على المنافسة في معالي الأمور التي يحبها الله ويرضاها، فيحسُنُ بالمرء أن ينظر إلى من

فوقه في النعمة الدينية وينافس في ذلك:

- كما في حديث " إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ "، قَالَ: «فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ» قَالَ: «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرِزُقْهُ مَالًا؟» قَالَ: " فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ " قَالَ: «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»، قَالَ: «وَعَبْدٌ

1- (البقرة: ١٢٩) وانظر أيضاً: البقرة (١٥١، ٢٣١)، آل عمران (١٦٤)، النساء (١١٣)، الجمعة (٢).

2- (الأحزاب: ٣٤).

3- شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٩٨).

4- "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (١/٤٢٠).

رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ» قَالَ: " وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: هِيَ نِيَّتُهُ، فَوَزُرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ".(1)

والشاهد منه قوله ﷺ: «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا؟» قَالَ: " فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ " قَالَ: «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»، فهذا فقير عالم غبط غنيا عالما.

-وكما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، (2) قدّم الخبر في الآية فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾
فأفاد الحصر في النعمة الدينية.

[مسألة]

هل الحصر المذكور في الحديث مقصود؟

أي: هل قوله "لا حسد إلا في اثنتين" يعني أنّ الغبطة مطلوبة في هاتين الخصلتين المذكورتين فقط؟

الجواب:

قال الخطابي: "أي لا إباحة لشيء من نوع الحسد إلا فيما كان هذا سبيله"، (3) أي في كل ما كان على وجه الغبطة.

وتقدم قول النووي: "والمُرَادُ بِالْحَدِيثِ: لَا غِبْطَةَ مَحْبُوبَةٍ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا"، فقوله "وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا" أفاد أنه يُقَاسُ عليهما ما كان في معناه، فأشار إلى أنّ الحصر غير مراد، وأنّ المراد من الحصر تحريم الحسد إلا ما كان من الغبطة؛ فهذا مستحب، لأنه لا يضر صاحبه ولا يضر المغبوط.

1- أحمد (١٨٠٣١) والترمذي (٢٤٢٥).

2- [المطففين: ٢٦]

3- أعلام الحديث (١٩٦١)

والدليل على أنّ الحصر في هاتين الخصلتين غير مقصود: ورود الكثير من الأدلة التي فيها حث على المنافسة في النعم الدينية عموماً، وما يُقرب إلى الله تبارك وتعالى عموماً، فمن تلك الأدلة عموم قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾⁽²⁾، والشاهد قوله: ﴿سَابِقُوا﴾، وهذا عام في كل ما يقرب إلى الله، ولذلك كان من هدي الصحابة رضي الله عنهم التنافس في الخير؛ أي في النعم الدينية دون النعم الدنيوية، فمن ذلك أنّ عمر بن الخطاب كان ينافس أبا بكر الصديق رضي الله عنهما في الخير.⁽³⁾

وفي الصحيحين عن أبي هريرة: (أنّ فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مِنْ صَنَعٍ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتُحَمِّدُونَ، دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» متفق عليه.

فأرشدهم النبي ﷺ إلى الذكر كما في الحديث، والشاهد أنهم صاروا يتنافسون في الذكر.

وبهذا نصل إلى الخلاصة من هذا الحديث، وهي أنّ المراد من الحديث الأمور الآتية:
 ١- أنّ الأصل أنّ الحسد مُحَرَّمٌ بالإجماع، إلا ما كان على وجه الغبطة، فهو مُسْتَحَبٌّ إذا كان في نعمة دينية.

1- [المطففين: ٢٦]

2- [الحديد: ٢١]

3- أبو داود (١٦٧٨).



- ٢- ويستفاد منه الحثّ على المنافسة في النِّعَمِ الدِّينيةِ ومعالي الأمور مما يحبه الله ويرضاه، سيّما النفقات فيما يرضي الله، والعلم بالكتاب والسنة، والعمل بها والحكم بها وتعليمها.
- ٣- وأنّ من تمنى الخير بنيّة صادقة فله مثل أجر فاعله إن عجز عنه.. وهذه ثمرة عظيمة من هذا الحديث. فإن غبط رجل أخاه في نعمة دينية، وتمنّى أن يكون مثله، ونوى أن لو قدر لفعل مثل فعله فهما في الأجر سواء، لأنّ النبي ﷺ ندب إلى هذه الغبطة.
- ٤- أمّا الغبطة في الأمور الدنيوية: فهي مُباحة إلا إذا كانت في أمرٍ مُحَرَّم فتحرم، وإن كانت في مكروه فتُكره.

وقد يستشكل البعض بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، والصحيح أنه نهى في هذه الآية عن الأمانى

الباطلة المجردة عن الكسب والتوكل على الله، فهذه تُفضي إلى التحاسد والتباغض.

وقيل: نهى أن تتمنى النساء ما اختصّ الله به الرجال، لأنها نزلت لهذا السبب، والعبرة بعموم اللفظ كما هو معلوم من أصول التفسير.

فلا تدلّ الآية على تحريم الغبطة في النعم الدنيوية، فلا بأس أن يغبط الإنسان أخاه في نعمة دنيوية مباحة، يعني يتمنى أن يكون عنده من الخير مثل ما عند أخيه ولكن من غير أن يريد زوال النعمة عن أخيه.

هذا والله تعالى أعلم..

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



أسئلة الدرس الخامس والثلاثين

السؤال الأول: سورة الإخلاص (**تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**) معناه:

أ- تعدل ثلث القرآن في الثواب.

ب- تعدله في المعنى والمنزلة.

ج- كلاهما قول للعلماء.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (ج).

السؤال الثاني: تسمى سورة الإخلاص بهذا الاسم:

أ- لأنها خالصة لله: أي ليس فيها ذكر شيء غير أسماء الله وصفاته.

ب- لأنها تخلّص قارئها من الشرك والتعطيل.

ج- كل ما ذكر صحيح.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (ج).

السؤال الثالث: "الأحد" و"الصمد" اسمان من أسماء الله الحسنى، ولم يذكر إلا في سورة

الإخلاص.

الجواب: (صحيح)

السؤال الرابع: الصمد "معناه:

أ- "الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته".

ب- "المصمت فلا جوف له".

ج- "السيد الذي بلغ سؤدده منتهاه".

د- كل ما ذكر صحيح.

الجواب: (د).

السؤال الخامس: الله تبارك وتعالى لم يلد:

أ- لكمال غناه عن صاحبة الولد.

ب- ولكمال تفرده عن المثل.

ج- كل ما ذكر صحيح.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (ج).

السؤال السادس: الله تبارك وتعالى لم يولد:

أ- لكمال تفرده عن المثل.

ب- لأنه الأول فليس قبله شيء.

ج- لكمال ربوبيته فهو خالق كل شيء.

د- كل ما ذكر صحيح.

الجواب: (د).

السؤال السابع: "لم يكن له كفوا أحد" معناه:

أ- ليس له مساو أو مسام أو ند أو نظير مثيل.

ب- ليس له صاحبة.

ج- كل ما ذكر صحيح.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (ج).



السؤال الثامن: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ... الحديث" أي لَا غِبْطَةَ مَحْبُوبَةٍ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْخَصَلَتَيْنِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا.

الجواب: (صحيح)

السؤال التاسع: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ... الحديث" أي لَا غِبْطَةَ مَحْبُوبَةٍ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْخَصَلَتَيْنِ. الجواب: (خطأ)

السؤال العاشر: الغِبْطَةُ هي:

أ- أَنْ يَتَمَتَّى مِثْلَ النَّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا.

ب- أَنْ يَتَمَتَّى مِثْلَ النَّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ وَيَتَمَتَّى زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا.

ج- كل ما ذكر صحيح.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (أ).

السؤال الحادي عشر: قوله عليه الصلاة والسلام: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ... الحديث"،

المقصود من الحصر في الحديث:

أ- أنه لا غبطة إلا في الخصلتين المذكورتين.

ب- المقصود من الحصر تحريم الحسد في غير هاتين الخصلتين.

ج- كل ما ذكر صحيح.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (ب).

✿ ... والحمد لله رب العالمين... ✿

